﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٦﴾ [الجاثية: 26]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

مـن يعتقد بوجود الله تعالى يؤمن بأنَّه يحيي، ويميت، وأنَّه يجمع الخلق يوم القيامة

لمّا أخبر الله عن الكافرين قولهم: ما يُهلِكُهم إلّا الدَّهرُ، وأنَّهُمُ استَدَلّوا عَلى إنكارِ البَعثِ بِما لا دَليلَ لَهُم فيهِ مِن سُؤالِ إحياءِ آبائِهِم؛ رَدَّ الله تَعالى عَلَيهِم بِأنَّه تَعالى هوَ المُحيي، وهو المُميتُ لا الدَّهْرُ، وهو الَّذي يجمعهم إلى يوم القيامة، ومَنْ قَدَرَ عَلى هَذا؛ قَدَرَ عَلى الإتيانِ بِآبائِهِم[1].

وأيضًا لمّا كان ﷺ، إنَّما يقبل الإيمانَ عند إمكانِ تصوُّره - وذلك إذا كان بالغيب - لم يجبْهم إلى إحياء آبائهم إكرامًا لهذه الأمَّة لشرف نبيِّها عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام؛ لأنَّ سنَّته الإلهيَّة جرت بأنَّ من لم يؤمن بعد كشف الأمر بإيجاد الآيات المقترحات أهلكه، كما فعل بالأمم الماضية، فرفعهم عن الحسِّ إلى التَّدريب على الحججِ العقليَّة، فقال آمرًا له ﷺ بالجواب بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَجۡمَعُكُمۡ﴾: أصلُ (جمع) يدلُّ على تَضامِّ الشَّيءِ[3]، يُقال: جمع الشَّيء عن تفرقة يجمعُه جمعًا، وجمَّعه، وأجمَعَه، فاجتَمع، وكذلك تجمَّع، واستَجمَع، والمجموعُ: الَّذي جُمع مِن هاهنا وهاهنا،

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/ 424.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 101.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جمع).

وإن لم يُجعَل كالشَّيءِ الواحد، وجمع أمره، وأجمَعَه، وأجمع عليه: عزَم، كأنَّه جمَع نفْسَه له[1]، والجَمعُ: المجتمِعون، وجَمْعُه جُموع[2]، والمقصود بالجمع في الآية: ضمُّ الأشياء عن تفرقةٍ بتقريب بعضها من بعض.

❁ المَعْنى الإجْماليّ:

أي قل أيها النبي لهؤلاء المشركين منكري البعث: (إنّ الله أحياكم في الدنيا، ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم، ثم يجمعكم جميعا يوم القيامة جمعا لا شك فيه)، كما أنّ في هذا إشارة إلى الآية المتقدمة: وهو أن الله تعالى كما كان عادلًا منزَّهًا عن الجورِ والظّلم؛ فإنَّ هذا يقتضي صحة البعث والقيامة، ثم خُتمت الآية أنَّ أكثر الناس – وهم مشركو العرب حينذاك – ينكرون البعث، من غير تأمّل وتدبّر ورويّة، ولا يدركون الحقيقة العلمية، ويقْصُرون نظرهم على المحسوسات، دون تفكر بالغيبيات، فاستبعدوا قيام الأجساد أحياء، منكرين وجود الإله القادر الحكيم.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

نكتةُ فصل الآية عن سابقتها:

القادرُ على ابتداء الخلقِ قادرٌ على إعادتِه

ترْكُ العطفِ هنا للاستئناف البيانيِّ؛ إذ إنَّ قولهم في الآية السّابقة: ﴿ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ قد استوجب الرَّدَّ عليهم من أنَّ الله تعالى هو الَّذي أحياهم أوَّلًا، ثمَّ يُميتُهم، وضمَّ إلى إلزام ذلك إلزامَ ما هو نتيجةٌ لِما تقدَّمَ، فمن قَدَر على ذلك؛ قدر على جمعهم يوم القيامة، فيكون قادرًا على إحياء آبائهم[3]، أو يقال لمّا قالوا: ﴿ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ عنادًا وتمرُّدًا؛ قيل لهم: دعوا

(1) ابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (جمع).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (جمع).
(3) الزّمخشري، الكشّاف: 4/ 292، وزكريا الأنصاري، فتح الرحمن: 1/ 520.

آباءكم، فإنَّ القاهر القادر العالم بكلِّ شيء يحييكم، ويميتكم، ويجمعكم يوم القيامة، فضلًا عمّا اقترحتموه من إحياء آبائِكم، ولكن أنتم لا تعلمون ذلك[1].

غرضُ فعل الأمر ﴿قُلِ﴾:

تلقينُ الله تعالى لرسولِه ﷺ الرَّدَّ على الكافرين

جاء فعل الأمر ﴿قُلِ﴾ على معنى تلقين القول لأهمّيَّته، والمقصود منه تلقين رسول الله ﷺ القول لإبطال جميع أقوالِهم السّابقة، أي: لإبطال قولِهم: ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾، وقولِهم: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا﴾، وتلقين الرَّدِّ عليهم في قولهم: ﴿ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾، فأبطلت جملة واحدة جميع مقولاتِهم.

تعيينُ المخاطَب بفعل ﴿قُلِ﴾:

رسولُ الله ﷺ هو المكلَّف الأوَّل في الإبلاغ

جاء قوله تعالى: ﴿قُلِ﴾ بصيغة المفرد مع أنَّ سؤال الكافرين: ﴿ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ كان بصيغة الجمع؛ للإشعار بأنَّ قول الرَّسول ﷺ يكفي في جوابِهم، وأنَّه هو المكلَّف الأوَّل في الإبلاغ، كما أنَّ الخطاب وإن كان لمعيَّن، وهو رسول الله ﷺ، لكنَّه يشمل جميع من يتلو القرآن، فكلُّ من يتأتّى منه تلاوة آيات القرآن؛ فليقل لهم: ﴿ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾.

نكتةُ تقديمِ المسند إليه والإخبار عنه بالجملة الفعليَّة:

لا أحدَ يقدر على إحياء الخلق وإماتتهم إلّا الله

أفاد تقديم المسند إليه والإخبار عنه بالجملة الفعليَّة في قوله: ﴿ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ﴾ تقوية الحكم وتحقيقه، بمعنى تقرير أنَّ الله تعالى هو الَّذي يحييكم، ويميتكم، وتخصيص الإحياء والإماتة به تعالى[2]، بمعنى لا أحد يقدر على إحيائكم وإماتتكم إلّا الله؛ لإبطال قولِهم: إنَّ الدَّهر هو الَّذي يميتهم.

(1) الطّيبيّ، حاشية على الكشّاف: 14/ 257.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 365.

توجيهُ اختيار اسم الجلالة دون الرَّبِّ:

مقامُ الرَّدِّ على المنكرين يناسبه ذكر الاسم الجليل (الله)

لمّا كان الإحياء والإماتة من مقتضيات الرُّبوبيَّة، قد يقال: ما سرُّ التَّعبير باسم الجلالة في قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ﴾ دون أن يقال: (قل: ربُّكم يحييكم)، والجواب هو أنَّه لمّا كان المقام مقامَ إنكارٍ من الكافرين للبعثِ يوم القيامة، وجاء على طريق العناد والمحاججة؛ كان التَّعبير بذكر الاسم الجليل أوفى للمقام وأقضى لحقِّ البلاغة؛ لأنَّ الجواب وإن جاء ردًّا على سؤالِهم، لكنَّه بذكر الاسم الجليل ألمح إلى الوعيد بالعذاب لمن لم يؤمن، ولهذا ناسب الكلام أن يقرن به قوله: ﴿ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾؛ إتمامًا للدَّليل، وللتَّنبيه إلى ما سيكون عليه يوم الجمع من الجزاء على الأقوال والأعمال.

فائدةُ التَّعبيرِ بالمضارع:

من أساليب القرآن الاستدلالُ بالشّاهد المحسوس على الغائب

أفاد التَّعبير بصيغة المضارع في قوله: ﴿يُحۡيِيكُمۡ﴾ و﴿يُمِيتُكُمۡ﴾ تجدُّد إحياء الله تعالى للنّاس واستمراره، وتجدُّد إماتته لهم، فالخطاب يشمل جميع النّاس، وإنَّما عبَّر بصيغة الخطاب؛ لأنَّه في معرض الرَّدِّ على منكري البعثِ، فيدخلون فيه دخولًا أوَّليًّا؛ ليكون الخطاب نذارةً لهم وتهديدًا، كما أنَّ في التَّعبير بصيغة المضارع تصويرًا لحالة استمرار إحياء الله النّاسَ، وإماتتهم المنبئة عن قدرة الله تعالى، أي: إنَّ الأمر أمام أعينكم، وهو حاضر بين يديكم، فلا مجال لإنكارِه، فيكون قد استدلَّ بالشّاهد المحسوس على الغائب.

نوعُ حرف التَّراخي ودلالته:

الحثُّ على التَّفكُّر والتَّأمُّل والاعتبار في تجدُّد الإحياء والإماتة

عبَّر بحرف التَّراخي ﴿ثُمَّ﴾ في قولِه: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ﴾؛ للإشعار بتراخي إماتتكم عن حياتِكم، وتراخي جمعكم إلى يوم القيامة عن إماتتكم، والتَّراخي في كلِّ مرحلةٍ بحسبِها زمانًا وتقديرًا، كما أنَّ في حرف التَّراخي إيماءً إلى الحثِّ على التَّفكُّر والتَّأمُّل والاعتبار في تجدُّد الإحياء والإماتة، وفي الحشر من القبور

إلى المحشر، والاستدلال بهذه الأحوال على الحشر يوم القيامة، فإنَّ من قدر على الإحياء؛ قدر على الإعادة، والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة ولإقامة العدل وإظهارِه.

نكتةُ اختيار مفردة ﴿يَجۡمَعُكُمۡ﴾:

الحشرُ في صورة الجمع أبلغُ في إظهار قدرة الله تعالى من حشر فردٍ فردٍ

عبَّر بلفظ ﴿يَجۡمَعُكُمۡ﴾ دون أن يقال: (يبعثكم)، أو (يحييكم)؛ لِما في لفظ الجمع من معنى المجازاة، ويلزم من التَّعبير بلفظ ﴿يَجۡمَعُكُمۡ﴾ أنَّه تعالى يحييكم، ويجمعكم، فإنَّ جمع الموتى في القبور، لا يكون من غيرِ إعادة إحيائِهم بعد أن أرِموا، أو التَّقدير: يجمعكم أحياءً، وفيه إظهار لعظيم القدرة فإنَّ الحشر في صورة الجمع أبلغُ في الاقتدار من حشر فردٍ فردٍ ومحاسبتِه، كما أنَّ في قولِه: ﴿ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ﴾؛ إبطالًا لقولِهم: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا﴾، وليس هو إبطالًا بطريق التَّفصيل والاستدلال؛ لأنَّ أدلَّة الحشرِ تكرَّرت فيما نزل من القرآن، فاستُغني عن تفصيلِها، فجاء الإبطال بطريق الإجمال والمعارضة[1].

براعةُ ترتيب الأفعال في: ﴿يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ﴾:

ترتيبُ الأفعال متَّسق مع ترتيب الأحوال

جاء ترتيب الأفعال في قوله: ﴿يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ﴾ على وفق ما يكون عليه الواقع، ولهذا عطف الأفعال بـ ﴿ثُمَّ﴾؛ للإيذان بأنَّ الدَّليل على قدرة الله على الحشر وجمْعِكم يوم القيامة هو مشاهدٌ وحاضرٌ أمامكم، كما أنَّ ترتيب الأفعال جاء مناسبًا لمورد إبطالِ قولِهم وشبهتِهم، أي: كما أنَّه تعالى أحيا آباءكم، وأماتهم؛ فإنَّه يحييكم، ويميتكم، ثم يجمعكم يوم القيامة.

نكتةُ التَّعبير بلفظ ﴿يَجۡمَعُكُمۡ﴾ دون يحشركم:

لكلِّ كلمةٍ في القرآنِ مع صاحبتِها مقامٌ

لمّا كان قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ في معرض الرَّدِّ على قول الكافرين: ﴿ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 365.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، وإبطال حجَّتهم أوثر اختيار لفظ ﴿يَجْمَعُكُمْ﴾؛ للإشارة إلى أنَّه يجمعكم أنتم وآباءَكم إلى يوم القيامة، فإنَّ لفظ الجمع بمعنى ضمِّ الشَّيء المتعدِّد بأن يأتي به من هنا ومن هنا، وذلك بتقريب بعضه من بعض، كما يقال: جمعته، فاجتمع[1]، فآباؤهم سيأتون، ويحضرون، ويجتمعون معهم، ويحشرون في موضعٍ واحدٍ، ولكن ليس في الدُّنيا، بل يوم القيامة عند الحشرِ وإقامة الحساب والجزاء، فيكون التَّعبير بلفظ ﴿يَجْمَعُكُمْ﴾ من تمام الرَّدِّ على الكافرين الَّذين طالبوا بالإتيان بآبائِهم والاجتماع بهم، فكان الأنسب بالمقام وبموضع معارضة قولِهم، أن يقول: ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾ دون (ثمَّ يحشرُكم)، فضلًا عن أنَّ في لفظ الجمع معنى الحشر - كما سيأتي - في سبب إيثار استعمال ﴿إِلَىٰ﴾، فلكلِّ كلمة في القرآن مع صاحبتها مقام.

نكتةُ تعديةِ فعل الجمع بـ﴿إِلَىٰ﴾:

لمّا تعدّى الفعل ﴿يَجْمَعُكُمْ﴾ بحرف الجرِّ ﴿إِلَىٰ﴾ - ولم يقل يجمعكم في يوم القيامة - أفاد تضمين الفعل ﴿يَجْمَعُكُمْ﴾ معنى: يحشركم، ففيه إثراء في المعنى وتكثيف له، والمعنى: يجمعكم، ويحشركم إلى يوم القيامة، وأفاد التَّعبير بحرف الجرِّ ﴿إِلَىٰ﴾: انتهاء غاية الإحياء والإماتة والجمع عند يوم القيامة؛ لأنَّ غاية الأمر ينتهي عند يوم القيامة، الَّذي يكون فيه الجزاء الَّذي يتبعه الجنَّة أو النّار.

غايةُ الأمر ينتهي عند يوم القيامة الَّذي يكون فيه الجزاء الَّذي يتبعه الجنَّة أو النّار

دلالةُ الإضافة في قوله: ﴿يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾:

الإضافة في قولِه: ﴿يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ على معنى الاختصاص، أي: اليوم المختصُّ بقيام النّاس فيه من قبورِهم وقيامِهم لربِّ العالمين، والتَّركيب صار علمًا على اليوم الموعود.

يوم القيامة يومٌ يقوم فيه النّاس من قبورِهم لربِّ العالمين

(1) الرّاغب، المفردات: (جمع).

بلاغةُ اختيار لفظ ﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ دون بقيَّة الأسماء:

مناسبةُ التَّعبير بـ(يَومِ القِيامَةِ) للفظ (يَجمَعُكُم)

أوثرَ اختيار لفظ ﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ دون سائر الأسماء - أي: دون أن يقال مثلًا يوم يجمعكم إلى يوم الفصل أو إلى يوم الفزع الأكبر أو إلى يوم يوم التَّناد - لمجيء الكلام في سياق الرَّدِّ على منكري البعث والحساب؛ لأنَّ التَّعبير بـ﴿يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ يفيد أنَّ النّاس تقوم فيه من قبورهم، ويجتمعون في المحشر، ولمّا كان الفعلُ ﴿يَجْمَعُكُمْ﴾ يشير إلى قيامِهم من القبور لأجل الاجتماع؛ اقتضى تعديته بما يؤذن بقيامِهم، فقال: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾.

بلاغةُ استعمالِ لا النافية للجنس:

أفاد نفي جنس الرَّيب المبالغة بنفي جميع أفراد الرَّيب

دلَّ استعمالُ لا النّافية للجنس في قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ على نفي جنس الرَّيب عن يوم القيامة، وعن جمعِهم فيه على سبيل التَّنصيص، والنَّفي بلا الَّتي للجنس أبلغ النَّفي؛ لأنَّه لو رفع، وقيل: (لا ريبٌ فيه)؛ لاحتمل نفي فردٍ من أفراد الرَّيب، فلمّا قال: ﴿لَا رَيْبَ﴾؛ أفاد نفي جنس الرَّيب المقتضي نفي جميع أفراد الرَّيب، فإمّا أن يكون المراد لاريبَ حقيقيًّا فيه، أو أنَّه لعدم الاعتداد بارتياب المرتابين فيه بسبب وهنِه؛ نُزِّل منزلة العدم، فمَن يرتاب في وقوع يوم القيامة، وجمع النّاس فيه إنَّما هو بسبب جهلِه أو عنادِه.

بلاغةُ استعمال الرَّيب دون الشَّكِّ:

شكُّ الكافرين بيوم القيامة يخالطه قلقٌ واضطراب وتهمة

الرَّيب في الأصل مصدرُ رابني؛ إذا حصلت فيك الرِّيبة، وأصل الرَّيب قلقُ النَّفس واضطرابُها، ثمَّ استعمل في معنى الشَّكِّ مطلقًا، أو معَ تُهمة؛ لأنَّه يُقلق النَّفسَ، ويزيل الطُّمَأنينة[1]، فعبَّر بالرَّيب في قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ دون الشَّكِّ؛ للإشارة إلى أنَّ اعتقاد الكافرين بيوم القيامة يقلقهم، ويزيل طمأنينتهم، ومعنى نفي الرَّيب عن يوم القيامة، وعن جمع النّاس فيه أنَّه في ظهورِ وقوعِه ووضوح

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/ 25.

البرهان التَّكوينيِّ والتَّنزيليِّ عليه بحيث ليس فيه مظنَّةٌ أن يُرتابَ في وقوعِه.

التَّوجيهُ النَّحويُّ لجملة ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾:

تحتمل جملة: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أن تكون حالًا لاسم الزَّمان ﴿يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[1]، أي: لاريبَ في وجودِه ووقوعِه بما يقتضيه من إحياء الأموات، ومعنى نفي الرَّيب في يوم القيامة أنَّ حقيقةَ الرَّيب الَّتي تتقوَّم من دلائل تفضي إلى الشَّكِّ منتفيةٌ عن قضيَّة وقوع يوم القيامة بكثرة الدَّلائل وتواردِها الدّالَّة على إمكانِه، وعلى أنَّه بالنِّسبة لقدرة اللّه ليس أعجب من بدء الخلقِ، وأنَّه بما أنَّ اللّه تعالى أخبر عن وقوعِه؛ فقد وجب القطع به[2]، كما تحتمل الجملة أن تكونَ حالًا من الفعل ﴿يَجْمَعُكُمْ﴾، وهذا التَّوجيه هو ما يُفهم من قول من ذهب إلى عود الضَّمير في ﴿فِيهِ﴾ إلى مصدر الفعل ﴿يَجْمَعُكُمْ﴾ - كما سيأتي متبوعًا - ويكون التَّقدير: لا ريب في جمعكم يوم القيامة؛ ليفيد الحال اقتران نفي الرَّيب بوقت جمع النّاس يوم القيامة، وعدم انفكاكِه عنه، وأجاز بعض المفسِّرين أن تكون جملة: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ صفةً لمصدر محذوف، وتقدير الكلام: ثمَّ يجمعكم إلى يوم القيامة جمعًا لاريب فيه، أي: جمعًا موصوفًا بأنَّه لا ينبغي الارتياب فيه[3].

تتعدَّد المواقع النَّحويَّة بتعدُّد المعاني المحتملة، فالإعراب فرع المعنى

عود الضَّمير في ﴿فِيهِ﴾:

على القول بأنَّ جملةَ: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ حالٌ من اسم الزَّمان ﴿يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، فإنَّ الضَّمير يعود إلى ﴿يَوْمِ﴾، والتَّقدير لا ريب في يوم القيامة[4]، أي: لا ريب في حقيقتِه وذاتِه[5]، وعلى القول بأنَّ جملة:

وقوعُ يوم القيامة ممّا لا يُرتابُ فيه لظهورِه

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 439، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 365، ودرويش، إعراب القرآن: 9/ 156.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 365.
(3) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 439.
(4) الإيجي، جامع البيان: 4/ 117.
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 88.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ حالٌ من الفعل ﴿يَجْمَعُكُمْ﴾، فإنَّ الضَّمير في قولِه: ﴿فِيهِ﴾ يعود إلى المصدر المفهوم من الفعل ﴿يَجْمَعُكُمْ﴾ بما تعلَّق به، والتَّقدير: لا ريب في جمعِكم إلى يوم القيامة[1]، ففيه نفي للرَّيب عن وقوع الجمع في يوم القيامة، وهو المقصود من السّياق، ويلزمه نفي الرَّيب عن يوم القيامة كذلك؛ لأنَّ الجمع مقيَّد بالظَّرف، فيدخل يوم القيامة في نفي الرَّيب عنه كذلك، والمعنى: جمعكم يوم القيامة لاريب فيه، كما أنَّ يوم القيامة لا ريب فيه، وأيضًا في عود الضَّمير إلى الجمع دون يوم القيامة إشارة إلى أنَّ وقوع يوم القيامة ممّا لا يُرتابُ فيه، ولا ينبغي الشَّكُّ فيه لظهورِه؛ لأنَّه من مقتضى الحكمة والعدل.

معنى الواو في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾:

الواو في قولِه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ عاطفة على مقول القول[2]، ومناسبة عطف هذه الجملة على مقول القول هو أنَّه لمّا أفاد قوله: ﴿ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أنَّه تعالى قادرٌ على الإتيان بآبائهم، كما هو قادر على الإتيان بهم؛ عطف عليه قوله: (لَكِنَّ أكثَرَ النّاسِ لا يَعلَمونَ)؛ ليفيد أنَّ أكثرَ النّاس - وهم الكافرون - لقلَّة تفكُّرهم وقصور نظرِهم على ما يحسّونه، ويشاهدونه لا يعلمون أنَّه تعالى قادر على إحيائِهم، فظهر وجه ارتباط هذه الجملة بما قبلها[3]، أي: لأنَّ أكثر النّاس لا يعلمون ينكرون المعادَ، ويستبعدون قيام الأجساد[4]، ويحتمل أن يقال الواو في قولِه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ حاليَّة[5]، من الفعل ﴿يَجْمَعُكُمْ﴾، أي: يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه والحال أنَّ أكثر النّاس

الجهلُ بالله سببٌ لإنكارِ المعاد واستبعاد قيام الأجساد

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 74، وابن عجيبة، البحر المديد: 5/ 318، والآلوسي، روح المعاني.
(2) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 13/ 157.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 109، والقونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 439.
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 270.
(5) درويش، إعراب القرآن: 9/ 156.

مرتابون فيه؛ لأنَّهم لا يعلمون دلائله وشواهده، ويحتمل أن تكون الواو حالًا من الفعل ﴿قُلِ﴾، بمعنى: قل لهم هذا القول، والحال أنَّ أكثر النّاس مرتابون فيه؛ لأنَّهم لا يعلمون شواهده.

دلالةُ الاستدراكِ في السّياق:

ارتيابُ الكافرين في الجمع يوم القيامة لجهلِهم وقُصورِهم في النَّظرِ والتَّفكُّرِ لا لشائبة ريبٍ ما

حرف (لَكِنَّ) في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ يفيد الاستدراكَ من قولِه تعالَى: ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾، وهذا الاستدراك إمّا أن يكون من تمام الكلام الَّذي أمر الله تعالى رسولَه ﷺ بأن يقوله للمنكرين، فهو من تمام التَّلقين بـ﴿قُلِ﴾، وإمّا أن يكون استئنافًا مسوقًا من جهتِه تعالى، وتنبيهًا على أنَّ ارتيابَهُم في الجمع يوم القيامة؛ لجهلِهم وقُصورِهم في النَّظرِ والتفكُّرِ، لا لأنَّ فيه شائبةَ رَيبٍ ما[1].

بلاغةُ الإظهار في موضع الإضمار:

من لا يؤمن بالبعث يوم القيامة جاهل بالله وبصفاتِه العليا

كان الظّاهر أن يقال: ولكنَّ أكثركم لا تعلمون؛ لأنَّ أصل الخطاب في قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ﴾ هو في الرَّدِّ على الكافرين الذين قالوا: ﴿ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾، لكنَّ الخطاب عدل إلى الاسم الظّاهر، فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾، والنُّكتة في العدول هو نفي العلم عن أكثر النّاس، والمقصود بالأكثر الكفّارُ المعاندون المكذِّبون بالبعثِ، فلو قيل: ولكنَّ أكثركم؛ لكان المعنى أنَّ أكثر الكافرين لا يعلمون، ويلزم منه أنَّ بعضهم يعلم، ولكنَّه لايؤمن بالبعثِ، مع أنَّ من لا يؤمن بالبعث جاهل بالله وبصفاتِه العليا، كما أفاد العدول إلى الاسم الظّاهر استقلاليَّة الجملة؛ لتكون تذييلًا يُقصد به العموم والكلّيَّة، فتُنزَّل الجملة منزلة المَثَل في حكايتِها والتَّمثُّل بها.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 74.

نكتةُ إيثار التَّعبير بنفي العلم على إثبات الجهل:

عبَّر بنفي العلم في قولِه: ﴿أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ دون إثبات الجهل بأن يقال: (ولكن أكثر النّاس يجهلون)، مع الإيجاز في اللَّفظ بسبب حذف (لا)؛ لأنَّ نفي علمِهم أبلغ من إثبات جهلِهم، وهو الأوفق بالمقام، فإنَّهم لمّا لم ينتفعوا بعلمِهم؛ نفاه عنهم، أو يقال: إنَّهم لمّا تركوا النَّظر بالتَّأمُّل في أسباب العلم؛ ناسب نفي العلم عنهم[1]، فنفيُ العلم عنهم أشدُّ توبيخًا لهم من إثبات جهلِهم، كما يفيد نفي العلم عنهم أنَّ أسباب العلم وشواهده حاضرة مستمرَّة، وأنَّه ينبغي العلم بها.

من لم ينتفع بعلمِه كمن لا علمَ له، فهو بمنزلة الجاهل

نكتةُ التَّعبير بالمضارع ﴿يَعۡلَمُونَ﴾:

عبَّر بصيغة المضارع في قولِه: ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾؛ للإشعار بتجدُّد نفي العلم عن أكثر النّاس بأنَّ الله تعالى قادر على إحياء الموتى، وهذا الأمر ظاهر.

نكتةُ حذف متعلِّق فعل ﴿يَعۡلَمُونَ﴾:

حُذِفَ متعلِّقُ الفعل المتعدّي ﴿يَعۡلَمُونَ﴾؛ لتنزيل الفعل منزلة اللّازم، بمعنى نفي وصفِهم بالعلم، ويدخل فيه دخولًا أوَّليًّا نفيُ علمِهم بأنَّه تعالى قادر على إحياء الموتى بدلالة السّياق، فكأنَّ من لا يعلم أنَّه تعالى يحيي الموتى، وأنَّه يجمع الخلقَ يوم القيامة لا يستحقُّ وصف العلم، فالعلم منتفٍ عنه.

من لا يعلم أنَّه تعالى يحيي الموتى ويجمع الخلقَ يوم القيامة لا يستحقُّ وصف العلم

❁ الفُروقُ المُعجَمِيَّةُ:

الرَّيب والشَّكّ:

الفرق بينهما هو أنَّ الشَّكَّ تردُّد الذِّهن في أمرين على حدٍّ سواء، من غير تهمةٍ في المشكوك فيه، وأمّا الرَّيب؛ فهو شكٌّ مع

(1) أبو منصور الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 9/ 229.

الـشَّـكُّ مـجـرَّد تـردُّد الـذِّهـن في أمريـن، والرَّيـب شـكٌّ مـع تـهـمةٍ واضطراب

تهمةٍ، ففي الرَّيب اتِّهام في المرتاب فيه، مع انزعاج وقلق واضطراب فيمن يرتاب، ولهذا تقول: إنّي شاكٌّ اليوم في المَطَر، ولا يجوز أن تقول: إنّي مرتاب اليوم بالمطر، كما تقول: إنّي مرتاب بفلان؛ إذا شَككت في أمره، واتَّهمته، كما أنَّ الشَّكَّ هو مبدأ الرَّيب وسببه، كأنَّه شكَّ أوَّلًا، فيوقعه شكُّه في الرَّيب، فيقال: شكٌّ مريب، ولا يُقال: ريب مشكِّك، ولهذا جاء نفي الرَّيب في قولِه: ﴿يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾؛ لأنَّ المشركين كانوا يشكّون في يوم القيامة، وفي جمعهِم فيه مع اتِّهامهم رسول الله ﷺ بالفرية والكذب في الإخبار عنه، فالرَّيب مذموم؛ لأنَّ فيه اتِّهامًا[1].

(1) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 99، والرّاغب، المفردات: (ريب، شكك)، والكفويّ، الكليات، ص: 528.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والخمسون،
سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 55 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-659-89-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 55 : المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-659-89-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4299298 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"